أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

الرد على اليهود والنصارى في زعمهم الباطل وادعاءاتهم الفاسدة

الرد على اليهود في زعمهم أن يعقوب كان على اليهودية	{ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) } فقال: أكنتم حاضرين وقت موت يعقوب، حين سأل أبناءه ما تعبدون بعد موتي؟ قالوا: لن نعبد إلا ربك ورب أبيك إسحاق وجدك إبراهيم وعمك إسماعيل، وَالْإِسْلَامُ هُوَ مِلَّةُ الْأَنْبِيَاءِ قَاطِبَةً وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ وَاخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُهُمْ لقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَحْنُ مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ دِينُنَا وَاحِدٌ وشرائعنا شتى"
	{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ثم أتى الرد المفحم على اليهود: لماذا تدعون ذلك؟ هل تظنون أن مجرد النسب ينجيكم من عذاب الله؟ فقد ذهب إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأعمالهم، وأنتم لن تنفعكم إلا أعمالكم، ولن تسألوا عن عملهم.
	هداية ... وتدبر لابد من اتباع القدوة، قال نعبد إلهك وإله آباءك، فأبناء يعقوب تأثروا به، والإبن يتأثر بأبيه. قضية الإيمان والتوحيد هي الأصل الكبير الذي تُبنى عليه السعادة في الدنيا والآخرة، وكل شيء يذهب، فالأموال تذهب وتجيء، وقد يُخفق الإنسان في دراسة، أو في عمل، وقد يمرض مرضًا عُضالاً، ولكن المُهم أن يسلم له دينه وإيمانه، وكل شيء بعد هذا فهو يسير وسهل، فالحياة قصيرة، ومتاعها قليل، وذهاب ذلك لا شيء، لكن إذا ذهب الدين، وحصل الانتكاسة والانحراف، فهنا يحصل الضياع والبؤس في الدنيا والآخرة. فهذا يعقوب في حال النزع والاحتضار {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} ففي هذه الحالة حينما يتحدث المُحتضر، ويوصي ويجمع بنيه، وقد ترك الدنيا وراء ظهره، وفارق اللذات، وبقي في حال لا يصلح معها إلا الصدق الكامل، فهنا يوصي يعقوب في هذه اللحظات الحاسمة بنيه بهذا الأصل الكبير

{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي} لا يوصيهم بالتجارة الفلانية، والأموال فثمروها، والزروع فنموها وتعاهدوها، إنما يقول لهم: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي} رباهم على هذا مدة الحياة، وعند الموت يريد أن يطمئن ليُفارق الدنيا وهو على حال من الاطمئنان، وأن هؤلاء الأبناء قد لزموا هذا الدين والحق، وأنهم لا يفارقونه من بعده، فلا يبدلون ولا يُغيرون **النفس الطويل في الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- فهؤلاء الرسل -عليهم الصلاة والسلام- والأنبياء قضوا حياتهم في الدعوة إلى الله قضوا أعمارًا مديدة بلا كلل ولا ملل ولا توقف ولا يأس،** فنوح بقي يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، والله أعلم كم بقي بعد الطوفان، مدة طويلة في الدعوة، وهذا يعقوب إلى لحظات الاحتضار، وهو في حال من مُلاحقة هذا الهم، ومُتابعة الدعوة، وتعاهد الأبناء، والغرس الذي غرسه، فالدعوة لا تتوقف، وهي من أفضل وأجل الأعمال التي يعملها الإنسان، وتبقى آثارها بعد موته، فإن الله -تبارك وتعالى- إذا هدى به أحدًا من الناس، فيكون له مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة، وأولى من يُقدم له ذلك ويُبذل هم هؤلاء الأولاد؛ ولذلك لا تحقرن من المعروف شيئًا	
الاعتماد على أعمال الآباء لا يجدي شيئاً؛ لقوله تعالى: {تلك أمة قد خلت ... } الآية؛	
كمال عدل الله حيث لا يؤاخذ أحدًا بعمل أحد فالكل مجزي بعمله؛ فلا أحد يعطى من عمل أحد، ولا يؤخذ منه؛ قال تعالى: {كل نفس بما كسبت رهينة} والآخِر لا يُسأل عن عمل الأول؛ ولكن الأول قد يُسأل عن عمل الآخر، كما قال تعالى: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار} [القصص: 41] ؛ فقد يكون الأول صاحب بدعة، ويُتَّبَع على بدعته؛ فيكون دالاً على ضلالة؛ فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ لكن الآخر لا يسأل عن عمل الأول؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»؛ وفي لفظ: «فتؤذوا الأحياء	

الرد على اليهود والنصارى في دعوة الناس إلى ملتهم	**{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** قالت اليهود: كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فأبطل الله زعمهم ولقن نبيه الحجة فقال: بل ملة إبراهيم حنيفا فيها الهدى، فقد كان مائلا عن الشرك. وهذه الآية نزلت في عبدالله بن صوريا فقد قال: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يامحمد تهتدِ فأنزل الله هذه الآية.
	تدبر ... وهداية أهل الباطل يجدون ويجتهدون في الدعوة إلى باطلهم، وكما جاء عن عثمان أن المرأة الزانية تود لو أن جميع النساء زوان" ولهذا قال الله لنبيه{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [سورة الكهف:28]
	{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ثم وجهت الآيات إلى وحدة العقيدة فأمرت المؤمنين أن يقولوا آمنا بالله وحده وبكل الكتب والرسل السابقين على وجه العموم لانفرق بين أحد منهم ونحن على هديهم مسلمون. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا «
	هداية ... وتدبر: هذه الآية جمعت أصول الإيمان لذا كان النبي يقرأ بها في ركعتي الفجر. الذي أوتيه النبيون من ربهم -عليهم الصلاة والسلام- هو الوحي والنبوة والكتاب، فهذا هو المهم والمطلوب، وهذا

	الذي يجب الإيمان به، والعناية به، ولم يقل: وما أوتي النبيون من ربهم من الرزق والمال والبلاد التي فتحوها، ونحو ذلك، فالتوحيد والايمان هو ميراث الأنبياء فمن أراد ميراث النبوة فعليه أن يشتغل ويُقبل على العلم، وأن يعتني به، ولُباب العلم وخُلاصته ما جاء في هذا الوحي. وكذلك ينبغي للمؤمن أن يشعر أنه هو وإخوانه كنفس واحدة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبّك بين أصابعه؛ لقوله تعالى: {**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**}
	{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} ثم تبين الآيات أن هذه عقيدتنا، وصبغتنا التي لاتزول، فالصبغة هي الدين، فمن آمن مثل إيماننا فقد حقق الخير، وهدي هداية التوفيق ومن أعرض وخالف بعد إقامة الحجة عليه، فلن يكونوا إلا منغمسين في الإيذاء، والضلال، وكأن الإنسان إذا سمع {فإنما هم في شقاق} قد يهاب، ويخاف؛ فطمأن الله تعالى المؤمنين بقوله {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}: أَيْ فَسَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ وَيُظْفِرُكَ بهم. وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ: وختمت الآية بهذين الإسمين لأن التدبير من الكفار لأهل الإيمان أمر خفي فختمت الآيات ببيان سمع الله وعلمه المحيط بكل شيء. **هداية ... وتدبر** { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا } الذين يصححون أديان هؤلاء الكفار من أهل الكتاب أو غيرهم، ويتورعون عن إطلاق الكفر عليهم، مخالفون لنص هذه الآية، والذين ينادون بوحدة الأديان وتجد مؤسسات تجمع بين المسجد والكنيسة ومعبد اليهود، والنبي يقول: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار" { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} يجب الاعتماد على الله، والثقة به {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [سورة الطلاق:3] يعني: كافي

	وبقدر اتباع الإنسان لشرع الله تحصل له الكفاية {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} فتوكل الدعاة، والرُسل، وأهل الإيمان، على الله -تبارك وتعالى- لا يضرهم بعد ذلك كيد الأعداء، والله أخبر عن الأموال الطائلة التي يُنفقونها للصد عن سبيل الله {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} هذا في الدنيا {وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [سورة الأنفال: 36] فهذا هو النتيجة المُحققة { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} النبي قال فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى- في الحديث المشهور: {من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه}، فحينما يصطبغ المؤمن بصبغة الله يكون الله -تبارك وتعالى- بهذه المثابة بالنسبة إليه بمعنى: أنه لا يُحرك ولا يبطش يده إلا وفق مرضاة الله ولا يمشي برجله خطوة واحدة إلا فيما يكون رضًا لربه -تبارك وتعالى- فيكون عمله في رضاه، وتكون أنفاسه في طاعته، فيكون مُستغرقًا العمر والأنفاس واللحظات في طاعة ربه، ومن هنا يتميز المؤمن بسمته وهديه ودله، ويتميز بمعاملاته وأخلاقه، ويتميز بلباسه ومظهره، قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله- بأن أهل الفراسة يعرفون ثوب التقي الصالح من ثوب غيره، ولو لم يكن عليه فمن أراد الكمال والشخصية الكاملة فليس بأن يشوه نفسه ويُغير معالم الفطرة، ويتشبه بأعداء الله ممن لا خلاق لهم من أهل العبث والضياع والتفريط، وإنما يمتثل ما أمره الله -تبارك وتعالى- به، ويقتدي بأكرم وأفضل وأعظم الخلق الذي أُمر بالاقتداء والاتساء به، وهو محمد.
الرد على اليهود في	**{قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ}**

زعمهم أنهم أبناء الله وأحباءه	كيف تجادلوننا في الله وهو ربنا وربكم، وليس أحد أولى من أحد ولايقرب عند الله إلا العمل الصالح، وأعمالنا يزكيها الإخلاص. **هداية .. وتدبر** وجوب البراءة من أعمال الكفار؛ لقوله تعالى: { وَلَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ }والإفتخار بذلك وبما نحن فيه من الحق، ولا يجوز التشبه بأعداء الله؛ لأن المشابهة موافقة في العمل؛ لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم» { وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ} عن سعيد بن جُبير -رحمه الله- أنه قال: الإخلاص أن يُخلص العبد دينه وعمله لله، فلا يُشرك به في دينه، ولا يُرائي بعمله وهناك عبارة للفضيل بن عياض -رحمه الله- مشهورة وهي: أن العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وترك العمل من أجل الناس رياء لأن الموجه للعمل صار الناس فالتفت القلب إليهم، فعده بهذا الاعتبار من قبيل الشرك، أو الرياء، وإن كان الصواب أن ترك العمل من أجل الناس خطأ وضعف في اليقين والتوكل والإيمان.
الرد على اليهود والنصارى في زعمهم أن إبراهيم كان على اليهودية أو النصرانية	**{ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** انتقل من توبيخ هؤلاء الذين يحاجون في الله إلى توبيخ آخر؛ وهو دعواهم أن هؤلاء الرسل الكرام كانوا هوداً، أو نصارى؛ وهذه دعوى كاذبة؛ فليس هؤلاء يهوداً، ولا نصارى؛ أأنتم أعلم بهذا أم الله؟!، فما كانت اليهودية ولاالنصرانية إلا بعد إبراهيم، وإسماعيل واسحاق ويعقوب وبنيه فلا أحد أظلم منكم لكتمانكم شهادة الحق على الأنبياء جميعا، وعلى النبي محمد خاصة، ثم توعدهم الله بأنه ليس بغافل عن أعمالكم وسيجازيكم عليها. **هداية ... وتدبر** كل إنسان يكتم علماً فقد كتم شهادة عنده من الله؛ ثم إن في هذا عظم إثمه؛ لقوله تعالى: {ومن أظلم ممن كتم شهادة

	عنده من الله}
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ	بعض أهل العلم يقولون: هذا التكرار جاء من أجل المُبالغة في زجر هؤلاء عن هذا الافتخار بالآباء، والانتساب إلى هؤلاء المرسلين والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وهم ليسوا على حالهم ولا عملهم ولا إيمانهم؛ وذلك من أجل ترسيخ مدلول هذه القضية في النفوس، واهتمامًا بما تضمنته، فإنه لم يكتف بالموضع الأول، بل أعاد ذلك ثانية ليُرسخ هذا المعنى؛ لشدة الحاجة إليه، حتى العرب في الجاهلية كانوا يفتخرون أنهم على دين إبراهيم

لما ظهر أن اليهود والنصارى لاخير فيهم، ختم السياق بالفصل بين الأمتين، وإعلان انتهاء عهد الأمة الأولى لتبدأ الأمة الثانية في الخلافة.

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}